

وتعدى الدرس العظيم حدود المغرب ليتلقنه أبناء الأمة العربية والإسلامية وشعوب العالم الثالث ، وكان معظم هذا العالم يعيش تحت كابوس الهزيمة العسكرية والنفسية ، ولكن اسما رنانا صدح في آذان هذه الشعوب ملأ نفوسهم بروح التضحية والفداء والبطولة واقتلع منها روح الهزيمة والاستسلام هو اسم عبد الكريم الخطابي .

ابن عبد الكريم الخطابي ضمير الشعب الذي تمرد



يكتبها اليوم
عبد الكريم الخطابي

عسكريا وماديا وتقليديا ، ولو انه كان متفوقا معزوبا لأنه كان يناضل من أجل هدف هو حرية بلاده ، وكان أعداؤه يقاومونه من أجل هدف هو الاستعمار . وقد كتب له النصر في مواقع عديدة لا نذكر منها معركة (اثوال) الا لأنها إحدى معارك التاريخ الكرى ، وغلب على أمره بعد أن احاط به جيشان من أعظم جيوش الدنيا آنذاك : الجيش الفرنسي والجيش الإسباني ، ولعبت الخيانة لعبتها أيضا فكانت نهاية حرب الريف ، ولكن «النهاية» كانت هي البداية أو هي الاستمرار في انارة الطريق للأجيال من أجل العمل لتحرير البلاد .

حرب الريف كحروب الأطلس المتوسط والأطلس الكبير وتافيلالت ، وابن عبد الكريم كمحمد أمزيان وماء العينين واليهبة والشريف السبلائي ومحمد وخمو الزيناني وغيرهم من أبطال التاريخ الحديث هم الذين انصاروا الطريق أمام الحركة الوطنية التي نشأت مبهمة في آخر عمليات حرب الريف ، وفي وقت كانت مقايضة الأطلس وأيت عطا ما تزال مستمرة ، وبدأت تأخذ طريقها الواضحة نحو النضال الثابت المصمم في نفس السنة التي انتهت فيها حرب الريف . الطريق التي خطها هؤلاء الأبطال - وفي مقدمتهم ابن عبد الكريم - كانت واضحة . والهدف كان محسدا وهو الاستقلال . وإذا كانت المقاومة المسلحة لم تصل إلى هذا الهدف لأن الظروف لم تكن في صالح المقاومة ، فقد سلكت نفس الطريق المقاومة السياسية التي سنتقي مرة أخرى بالمقاومة المسلحة وتصل إلى الهدف ، في مظهره الأول على كل حال .

والمعلم الثالث أن ابن عبد الكريم بالحرب المقدسة التي خاضها إراح عن شعب المغرب كابوس الهزيمة العسكرية والنفسية التي حطت ببلادنا بعد أن فرضت الحماية

للحديث عن ابن عبد الكريم انه كان من الذين طمسوا تاريخ المغرب بطابعه الحقيقي والطابع الحقيقي لهذه البلاد هو التحرر من كل سيطرة اجنبية . وقد شهد وهو غنى يافع استقلال المغرب بنهار . وشهد الزحف الاستعماري يطوق البلاد من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وشهد الذين احتلوا أجزاء من بلادنا منذ بضعة قرون يمدون نفوذهم على الشمال كله وعلى أجزاء من صحرائنا ، والذين كانوا يحتلون أرض جيراننا يمدون نفوذهم على الشرق والوسط والجنوب والصحراء ، وشهد المؤامرة الدولية تبلغ غايتها .

وما هكذا عاش المغرب في تاريخه . وقد كان هذا التاريخ (الماضي) يفيض في ضمير ابن عبد الكريم لأنه ماض يحرك الضمير (وأصحاب عقلية النحاة سيانفون مرة أخرى من كلمة «الماضي» وكلمة «الضمير») وهكذا الذين وجدوا ليتحملوا رسالة الحياة يفيض ضميرهم قبل أن يتحول هذا الفيض إلى الفعل . ويوم نبض ضمير ابن عبد الكريم وهو يشهد انهيار كيان بلاده بدأ هذا النبض يتحول إلى الفعل . وتقدم يتلقف علم المجاهدين لطبع تاريخ المغرب بطابعه الحقيقي والطابع الحقيقي أن المغرب لم يخضع من قبل لنفسود اجنبي الا لفترات محدودة ، وفي أجزاء محدودة منه ، وفي فترات انهيار عسكري وفكري وسياسي واقتصادي . وإذا كان قد تحقق هذا الخضوع بالاحتلال والحماية فيجب أن تتغير هذه الظروف حتى تكون الفترة التاريخية التي نعيشها منسجمة مع التاريخ الطويل الذي عاشه شعبنا وهو تاريخ الحرية والاستقلال . هناك إذن فكرة الحرية التي نبض بها ضمير ابن عبد الكريم .

وهناك فكرة الجهاد من أجل الحرية . وكلاهما كان طابع تاريخ المغرب . وكان ابن عبد الكريم من الذين عملوا على أن يطبعوا هذا التاريخ بطابعه الحقيقي .

والمعلم الثاني الذي نخاره انه آثار طريق الحرية أمام الأجيال التي عاصرتة وعاشت بعده . لقد عمل على تحرير المغرب كله من رقة الاستعمار الإسباني والفرنسي . وخاض حربا في ظروف غير متكافئة

الأجيال التي حققت الاستقلال ، ومن الذين إراحوا عن الشعب كابوس الهزيمة العسكرية والنفسية .

ثلاثة معالم من المعالم البارزة في هذه الفترة من تاريخنا نخارها لأنها تذكرنا أكثر بابن عبد الكريم الخطابي وقضيتا مع ابن عبد الكريم كقضيتنا مع القادة الذين سلأوا دنيا المغرب وشغلوا الناس فيه ، وكقضيتنا مع الحركات والأفكار التي تسادت المغرب إلى المرحلة التي يمش فيها ، كقضيتنا مع هؤلاء ومع هذه ليست قضية الماضي أو التعلق بالماضي : والذين يغفرون بعقلية التحاة هم الذين يفهمون الماضي على أنه الفعل الذي انتهى وانقضى ، وما أكثر الذين يغفرون بعقلية النحاة ولو عاشوا في الربع الأخير من القرن العشرين . الماضي عندنا برجاله وأفكاره هو الماضي المستقبل (ومعبرة لأصحاب عقلية النحاة فقد لا يفهمون) ونعني به الماضي الذي صنع المستقبل . والذين ليس لهم هذا الماضي هم الذين ينكرون له ، وهم الذين ينكرون على الناس أن يذكروه . ومع ذلك فالذين ليس لهم ماض ، والذين ينكرون على الناس أن يذكروا ماضى المستقبل نقول : أن من لا ماضى له لا مستقبل له

ونضال ابن عبد الكريم الخطابي من هذا الماضي الذي يجب أن نذكره لأنه لم يكن ماضى النحاة ، بقدرما كان ماضى المستقبل . ونعتبر نضال ابن عبد الكريم ماضى المستقبل ، لأنه كان ضمير الشعب الذي تمرد في وقت لا يمكن أن يتقدم فيه الا ضمير ينبض بحب هذا الوطن ويتقدم لفداء الوطن بالوحي الذي انبعثت فيه كل أمجاد الماضى الوطنية ، وتتممت فيه كل آماني المستقبل الوطنية المعلم الأول الذي نخاره

والمناسبة ، ولكتنا نذكره دائما لأنه كان من الذين طبعوا تاريخ المغرب الحديث بطابعه الحقيقي ، ومن الذين اناروا طريق الحرية أمام



انتهى وانقضى ، وما أكثر الذين يغفرون بعقلية النحاة ولو عاشوا في الربع الأخير من القرن العشرين . الماضي عندنا برجاله وأفكاره هو الماضي المستقبل (ومعبرة لأصحاب عقلية النحاة فقد لا يفهمون) ونعني به الماضي الذي صنع المستقبل . والذين ليس لهم هذا الماضي هم الذين ينكرون له ، وهم الذين ينكرون على الناس أن يذكروه . ومع ذلك فالذين ليس لهم ماض ، والذين ينكرون على الناس أن يذكروا ماضى المستقبل نقول : أن من لا ماضى له لا مستقبل له ونضال ابن عبد الكريم الخطابي من هذا الماضي الذي يجب أن نذكره لأنه لم يكن ماضى النحاة ، بقدرما كان ماضى المستقبل . ونعتبر نضال ابن عبد الكريم ماضى المستقبل ، لأنه كان ضمير الشعب الذي تمرد في وقت لا يمكن أن يتقدم فيه الا ضمير ينبض بحب هذا الوطن ويتقدم لفداء الوطن بالوحي الذي انبعثت فيه كل أمجاد الماضى الوطنية ، وتتممت فيه كل آماني المستقبل الوطنية المعلم الأول الذي نخاره

فقد كانت هناك مقاومة شعبية في كل مكان حاول فيه الاستعمار أن يحط قديمه ، ولكن كانت هناك هزيمة في كل مكان قاوم فيه شعب المغرب . لم تكن الهزيمة ناتجة عن جبن أو ضعف في روح المقاومة ، ولكن الهزيمة كانت لأن المواطنين لم ينظموا أنفسهم، فكانت المقاومة فردية في القبائل - نتيجة للروح القبلية - وكانت فردية في المدن نتيجة الروح المدنية . وكان الهزيمة أثرها النفس فتحطمت في كثير من الانحاء معنوية المواطنين الذين شهدوا جيشا غازيا لا عهد لتاريخ المغرب بمثله ، رغم انهم قاوموا في التاريخ جيوشا غازية كانت اقوى جيوش دنيها .

هذه الهزيمة العسكرية ثم الهزيمة النفسية بعد ذلك كانت في حاجة الى عملية مهمة تقذلها من جذورها لتبعث الحياة من جديد في الشعب المغربي كشعب يتجرا

وكانت حرب الشريف التي قادها ابن عبد الكريم الخطابي هي العملية التي هياها القدر لشعب المغرب لتعطى للمغاربة درسا في ان الاستعمار العسكري يمكن ان يقاوم ويمكن ان يغلب .

وقد وعى المواطنون هذا الدرس وعيا كاملا .

وتعدى الدرس العظيم حدود المغرب ليتلقنه ابناء الامة العربية والاسلامية وشعوب العالم الثالث . وكان معظم هذا العالم في العشرينات يقع تحت كابوس الهزيمة العسكرية والنفسية . ولكن اسما رفاتا صدح في آذان الشعوب ملا نفوسهم بروح

التضحية والفداء والبطولة واقتلع منها روح الهزيمة والاستسلام هو اسم عبد الكريم . وراينا شعوبا تنهض لمقاومة الاستعمار كما تنهض شعب المغرب . وراينا بطولات تنبع وسط هذه الشعوب كما نبعت بطولات في شعب المغرب .

وهكذا انتصرت رسالة عبد الكريم رغم أن المؤرخين يقولون انه انهزم في الحرب . فكان يرحمه الله ضمير شعب تمرد ، وحرك معه ضمائ شعوب وكم نحن وهذه الشعوب جميعا مدينة لهذا الضمير الذي تحرك قبل نصف قرن من الزمان .